

المبحث الثالثون:

جدلية الهدف – الوحدة والإبداع مثالاً.

قد يسأل البعض لماذا تُطرح الوحدة القومية ، ونحن نبحث ونتحدث عن الإبداع؟؟؟
الجواب هام ومعقد وبسيط ومصيري لماذا؟ ، لأن الإبداع يحتاج الى حاضن والوحدة حاضن للإبداع ، والإبداع يحتاج إلى سيادة والوحدة حاضن وحامية للسيادة ، والإبداع من محفزاته الحاجة والوحدة حاجة كلية وجودية تستلزمه ، والإبداع يحتاج إلى عقول وأفكار تلقح بعضها والوحدة ، هي البيئة التي توفر لهذه العقول والأفكار شروط نمائها ضمن إطارها ، والإبداع يحتاج الى ثروات وقدرات ومقومات ، والوحدة توفر له هذا كله ، والإبداع ينمو ويزدهو في الإطار الجغرافي والاقتصادي والسياسي والتربوي والعلمي الواسع ... الخ ، والوحدة تحقق ذلك .

لهذا السبب أطرح الوحدة لأنني اعتبرها {الهدف الأسمى} في مستقبل أمتنا ، وألح عليها لأنها هي كالتأثير الذي يحتضن "بيوضه" ويحميها من الفساد والفناء في الأرض والسماء ، واختار الطائر "أبو منجل" في هذا السياق ، هذا الطائر الذكي الذي كان مقدساً عند قدماء المصريين ، و كان يُعبد عند الفراعنة ، وكان يُظن بأنه هو الذي يكتب تاريخ ملوكهم ، وقد ظهر أبو منجل في معابدهم برأسه وبجسم إنسان وهو يقيم عشه في مكان واحد ويطيير في صفوف مائلة على شكل حرف [V] لمقاومة الهواء.

لهذا أردت أن أُلجأ إلى أمثلة من الحياة أشبه الوحدة بها ، وقد رأيت بالطائر الذكي "أبو منجل" بعض ما يلبي ما في خاطري لأستخدمة مثالاً في هذا المجال ، لأبين قدسيته وجدليتها وأهميتها في حياتنا - رغم وضوحها - ، ولأبين لماذا نحن نتعثر ونتقهقر في هذا العالم المتلاطم الذي تتقدم بعض شعوبه ويتأخر بعضها الآخر ؟..
إنني أطرح هدف الوحدة من خلال ما يلي:

البند الأول: مقدمة.

لماذا يعادون الوحدة؟ ببساطة: لأنها وحدة ولأنها قوة !!!

ولماذا لا يكون لها أعداء ؟ وهي بهذه الأهمية الاستراتيجية المصيرية، من هنا تستلزم الضرورات الوطنية والقومية في كل منا وبخاصة القوى المؤمنة بالوحدة (دولاً وتنظيمات سياسية وشعبية) لإعادة النظر في التفكير والممارسة، في التنظيم ومواكبة المعاصرة المؤثرة، والذي أقصده من خلال إبداعنا وإنجازنا المدروس والمرتكز على عمق المسؤولية، التي تحرك فينا قدراتنا، التي علينا توظيفها في خططنا الوطنية، التي تشد التكامل الوحدوي والقومي، دون أن تنال منا ومن إرادتنا المواجهة للحروب التي نخوضها، والتي تعني بأننا نسير بالدرب التي لا يرغبها أعداء نهوضنا ووعينا الجماعي والفردى، والتي تعني بأن وحدتنا هي الحضن الآمن لإبداع مبدعى الأمة وروادها، في كل حذب وصوب، لأن هؤلاء هم الذين يُلقى على عاتقهم عبء الابتكار والنهوض، وخلق السبل الكفيلة بالوصول الى هذه الثوابت، بأقصر السبل إن أمكن وبأقل الخسائر و المواجهات، مع الدول والقوى المضادة، مستخدمين جميع الوسائل المشروعة، كحق من حقوقنا ومسخرين كل السبل المتاحة، في مسيرة الشعوب النهضة ومواجهاتها مع القوى النقيضة لها، ولو استخدمت السرية والخدع في بعض الأحيان، في تضليل العدو كإحدى الأسلحة، (لأن ما نخوض هي حرب طاحنة، لها سمات العمر الطويل)، وحينما نقول بجميع الوسائل والسبل، لأننا نعلم علم اليقين بأن من يستعدينا ويستهدف ثوابتنا، وحتى وجودنا كأمة لم يغيب عن خططه وممارساته أي موبقة من موبقات الفناء البشري، الذي لا يحل ولا يحرم، ويحرق الأخضر واليابس، في فوضويته و وحشيته وممارساته الإرهابية، فحينما تستعديك قوى غاشمة (عالمية ومحلية) بهذه المواصفات، فمن حق المستهدف، أن يدافع عن وجوده وبقائه، لأن الهنود الحمر لم يرحمهم التاريخ، ولا من قرأ التاريخ ويتفاخر اليوم بصنعه للتاريخ، بعد أن غدا

الهنود الحمر أثراً بعد عين، (والحرب خدعة) وعدوك يستخدم جميع الأسلحة لإركاعك وهو المعتدي .

البند الثاني: مبررات الحذر.

في ضوء ما تقدم وفي هذا السياق، نطرح السؤال الكبير التالي، لماذا التدرج في قيام الاتحاد الأوروبي ؟؟ وكيف بدأ الاتحاد الأوروبي ؟؟

الجواب، ببساطة إن هذا الاتحاد لم يبدأ بين ليلة وضحاها، بل بدأ بمجموعة الفحم عام 1951 من (6 دول)، ولم تؤثر فيه الحادثات وأخذ يتوسع حيث انضم إليه بين عام 1973 - 1995 (عشر دول)، وكان آخر المنظمين "رومانيا وبلغاريا" عام 2007، ولذلك بعد أن كان الاتحاد يضم (175 مليون نسمة عام 1957 من "6 دول" أصبح يضم (500 مليون نسمة من 27 دولة في عام 2007)، ونلاحظ التدرج في الخطى والخطاب الوحدوي المحسوب في هذا الاتحاد، لدول تنتمي لشعوب وأمم مختلفة، وتتحدث لغات مختلفة ولها انتماءات فكرية وعقائدية وروحية مختلفة، إلا أنها تعمل بجهد وتناضل، لتحقيق وحدتها وقوتها وحماية شعوبها، في عالم يشهد تحديات وتطورات مستمرة، وها هو يخطو خطواته الوحدوية بمسؤولية عالية، من أدنى خطواتها نحو التكامل، الذي يمثل هدفها في البناء الوحدوي، بدءاً من اكتساب حق المواطنة الأوروبية لمواطني الاتحاد، وحتى تبوأ المسؤولية فيه، إن حق المواطنة لو أنجز الاتحاد، لمنح صاحبه حقوقاً كثيرة من حيث المبدأ، منها [الإقامة والتنقل في دول الاتحاد - الترشح - الانتخاب - الحماية الدبلوماسية والقنصلية... الخ]

هذه الأمثلة تقتصر فقط على بعض المكاسب، ولا تشمل حق النشاطات الأخرى التي ستيحها الاتحاد، للشخصيات الطبيعية والاعتبارية (كالثقافية والصناعية ..الخ) ونعود لنكرر التساؤل نفسه والذي يجب أن يطرح لماذا هذه المرحلة في العمل الوحدوي الأوروبي ؟

الجواب واضح وبسيط، لأن هذه الشعوب تريد الآتي:

(1) أن تكون خطواتها في الثوابت راسخة ودائمة نحو أهدافها الاستراتيجية، المحسوبة والمدرسة.

(2) السير في خطوات حذرة لمواجهة أي سلبية تصادف الاتحاد في الداخل والخارج، لأن الفضل ممكن ولكن قتل الهدف يجب ألا يتمكن من تحقيقه أعداؤه.

لذلك تستلزم الضرورة التاريخية، إن يحسب لهذه الخطوات الوحدوية الحسابات الدقيقة، حتى لا تكون مجالا "للخدعة والتدليس والإيقاع والتآمر"، في الداخل والخارج من الدول والقوى الأخرى.

إن (مثل هذا التفكير الإستراتيجي الهام الذي يلزمنا، لم نعشه و نمارسه - مع الأسف - ثقافياً - سياسياً - اقتصادياً - ولا عسكرياً... الخ) بينما يعيشه ويمارسه الاتحاد الأوروبي في كل مجالاته، وهو يدير عجلة اتحاده الى الأمام، رغم أننا نملك مالا يملكه الآخرون فنحن نملك { الجغرافيا الواحدة المتكاملة، واللغة الواحدة - والأهداف الواحدة - والتاريخ المشترك - والمصير المشترك.... الخ }

البند الثالث: مفهوم الحرب خدعة.

قد يتبادر للذهن مباشرة تساؤل مفاده ما المقصود من "الحرب خدعة"؟ هذه العبارة التي وردت على لسان النبي العربي الكريم {والتي تعني الإيقاع بالشر الذي يواجه الخير، للوصول إلى الهدف الأسمى المنشود وليس العدوان، وتعني التخطيط وابتداع التكتيك الناجح لمواجهة عدو الحق، وهي دعوة للحذر لتقويت الفرص على العدو من تنفيذ خططه}، التي توقع وتقتل وتدمر بغير حق، و الحرب خدعة هي بحد ذاتها مقولة ترمي إلى الحد والتقليل من الخسائر البشرية والمادية والمعنوية، للوصول إلى الهدف الأسمى، كما أن الحرب خدعة تستهدف من تبني الباطل والتكفير والعدوان، لوقف السير نحو الإيمان والكرامة والوطنية والسؤدد.

من هنا تبرز أهمية عبارة "الحرب خدعة" ومن هنا تأتي أهمية السرية في كثير من الأحيان، ومن هنا تبرز أهمية وخطورة (الإبداع) في إدارة رعى معارك الحرب والسلم، التي تخوضها الشعوب، حيث يبرز في هذا المجال إبداع القادة الذين يديرونها والحرب هذه الأيام لم تعد مقتصرة على الحرب العسكرية، بل تعدتها إلى الحروب الإلكترونية والإعلامية والثقافية والاقتصادية.. الخ.

إن هذه المعاني المتقدم ذكرها، تدعو الإنسان لاستخدام عقله، وإدراك قيمة الأمم التي تصنع الحضارات، هذه المعاني تسهم في بلورة عوامل السلام والتكامل بين الشعوب ومبدعيها. { إن الإبداع يتجلى كماً ونوعاً من خلال المعاناة }، حيث يبرز المبدعون في ساحات الوطن المتنوعة (بالتفكير والتخطيط والتنفيذ والأداء)، وبخاصة إزاء المسائل المصيرية، المتصلة بأهداف الأمة، كالوحدة العربية ومقدماتها الوجودية (الاقتصادية والقانونية والثقافية وسواها).

{ إن الخطوات التي تتخذ، يجب إحاطتها بالسرية بداية } لأن الخطوات التي تتخذ للتنفيذ، يجب أن تحاط بالحذر والسرية بغية تجنبها الاستهداف، بحيث يكون التنفيذ في المكان والزمان المتكاملين، بحيث لا يستطيع المتربصون التأثير والعرقلة.

البند الرابع: الخدعة والعدو.

إن لكل مسألة وجهان، وفي كثير من الأحيان أكثر من وجه، ولذلك فإن الخدعة قد تلبس لبوساً غير لبوسها الحقيقي، لبوساً لا يمت لجوهرها بصلة، خاصة وإن العدو يلجا في كثير من الأحيان، للتلاعب في ثوابت الأمم ومكوناتها وأهدافها، بل يلجا "مخادعا" لتشجيعها باتجاه التحقيق والوصول إلى الهدف، ولكنه، ولكنه بالوقت نفسه يبطئ الإيقاع بالهدف، لينهال عليه وينهيه، بغية زرع التردد وعدم الثقة بالهدف من قبل مريديه والعاملين من أجله، لهذا فإن الحذر مطلوب من جميع

الجوانب والاتجاهات ، لتلافي وتجنب إفشال ما خطط ويخطط له العدو تكتيكياً وإستراتيجياً.

من هنا تأتي أهمية الحذر من المغريات الخادعة، التي يمكن أن يكون قد خطط لها العدو، وعمل ويعمل على تشجيعها، وعلى تنفيذها للإيقاع بالقوى التي يستهدفها، بغية تشويه الهدف في ذهنية الشعب والنيل من قاداته ورواده، هذه المغريات التي يمكن أن يقع بها الساسة الذين يجهدون لإنجاز مسألة إستراتيجية، وهنا مكنم الخطورة والأخطر من ذلك، فيما لو تم الإيقاع بالهدف، وبعدم استمراريته في الشرك الذي يسيء له، والذي قد يزيد من معوقات تنفيذه مستقبلاً إعاقة تعكس بسلبياتها على إرادة الجماهير.

البند الخامس: الأمثلة الدالة على الخدعة.

أولاً - ومن الأمثلة الدالة على الخدعة، ممارسة التدليس التي يلعبه السياسيون بإعطاء المعلومات الكاذبة، والتي تبغي التعمية على الحقيقة وظاهر الأمور وبواطنها، ويستخدم لذلك العديد من الأدوات والوسائل كالتصريحات والوثائق والخرائط غير الحقيقية والتواقيت المزورة، واستعراض القوة .

ولقد اكدت اتفاقية فيينا 1969 على عدم ممارسة التدليس في العلاقات الدولية، وان تقاد العلاقات الدولية بأخلاقية، والأمثلة على الكذب والتدليس، السيرة الفاضحة للدبلوماسية الأمريكية، وبخاصة في الحرب على العراق، التي شنتها أمريكا على منطقتنا متهمة العراق بامتلاك "أسلحة الدمار الشامل" التي بررها كذباً وبهتاناً (كولن باول) بالوثائق المزورة والتصريحات والاتصالات والزيارات والمكوكيات الدبلوماسية الفاضحة، والمخالفة للعدالة والقوانين الدولية، وهو يعكس الغرور الأميركي والعنصرية البشعة، ويمارس الإرهاب المخطط، وبأساليب بربرية تعكس النزوع الإرهابي لجورج بوش الابن.

ثانياً - ومن هذه الممارسات ما تواجهه سورية منذ زمن وبخاصة منذ عام (2011 ولغاية اليوم) سورية التي عرفت بمواقفها الوطنية والقومية التي تخالف الغرب، بكل شروره التي ينوي تحقيقها بالمنطقة من خلال إسرائيل وعملائه، في مختلف البلدان العربية وبلدان العالم الثالث، الذي أصبح مع الأسف نهباً لقوى الغرب الكبرى بقيادة أميركا التي تستغله أبشع استغلال، في ضرب سيادة الدول وحقوق الإنسان، حينما ينفذ ما تطلبه إليه السياسة الأميركية، والهدف من ذلك تصفية بعض الدول كسورية، وتغيير مواقعها ومواقفها السياسية والنضالية والقومية، والإساءة الى الثوابت التي من أجلها تعمل في الحاضر والمستقبل. لذلك فإن حماية مصالح أميركا و إسرائيل، مرتبة أولى في أولوياتهم ورعاية مصالح عملائهم المتوزعين في أنظمة الحكم، مرتبة ثانية .

نتيجة:

لقد اسهبننا فيما سبق، لكي نوضح بأن إدارة الصراع، تحتاج إلى الإبداع وتستلزم المبدعين، وإلا دفعت الشعوب أثماناً باهضة، وهنا تفعل القاعدة القائلة {الضرورات تبيح المحظورات}.

ثالثاً - من هنا لا بد أن نلاحظ، بأن للإبداع أكثر من وجه، فكما يقال : إن للعملة وجهان فقد يكون للإبداع أكثر من وجه، الأمر الذي يستلزم قدرات خلاقة، تستوي وسوية الإبداع نفسه كي يُحافظ عليه في مساره، وقد اشرنا إلى ذلك سابقاً بمعرض معالجتنا للذرة كإبداع، وإلى استخداماتها وكذلك حين معالجتنا للهبة القومية التي شهدها الوطن العربي عام 1956، إبان العدوان الثلاثي على مصر .

تلك الهبة العارمة التي أراها ((بالتحليل)) بأنها كانت المعادلة الصعبة، التي تم امتصاصها و التآمر عليها بعد تحقيق وحدة {مصر وسورية} في فترة التوثب القومي والعاطفي، الذي هال الغرب وإسرائيل مشاهدته، لذلك أعدوا العدة لإسقاطها بعد حين، بالتنسيق والتعاون مع بعض الشرائح السورية والقوى الانفصالية والرجعية العربية، وبالفعل فقد تم الإيقاع بها بعد (3 سنوات) من قبل الانفصال رغم صدقية

الشعبين والقادة الذين صنعوها ورغم ذلك فقد بقيت الأمة متمسكة بهدفها
الوحدوي لأنه هدف مصيري.

ويتبين لنا هنا الفشل الذريع في إدارة الإنجاز الإبداعي المتمثل في هذه الوحدة، لأن
دولة الوحدة الجديدة، تستلزم أن ينبري القادة المبدعون، والإداريون المبتكرون،
لإدارة مؤسساتها ليست السياسية فحسب، بل المؤسسات الاقتصادية والعسكرية
والثقافية.. الخ، بهيكلية وصيغ وأساليب جديدة، وإنتاج وإنتاجية تعود بالفائدة على
ال جماهير، هذه الإدارة التي لا تقتصر على رأس هرمها، بل على جماهيرها، هذه
الخطوة غابت لغياب المبدعين.